الرؤية النقدية لفلسفة الحداثة وما بعد الحداثة في الفكر الاسلامي المعاصر عبد الوهاب المسيري نموذجا

م.م فاطمة عبد رهيف

الجامعة المستنصرية رئاسة الجامعة مكتب رئيس الجامعة

The critical vision of the philosophy of modernity and post- modernism in contemporary Islamic thought, Abdul wahab AL- Mesiri, as an example

Assistant Lecturer :Fatima Abd Raheef

Presidency of AL –Mustansiriya University

Fatima.m.raheef@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص الدراسة :

حاولت من خلال هذه الدراسة المعنونة فلسفة الحداثة وما بعد الحداثة ، أن أركز اهتمامي على المشروع الحداثي الإسلامي الذي يعتبر من أهم المشاريع التي كان لها أثر في مسار الفكر العربي المعاصر، آلا وهو مشروع المسيري ، والذي بدأ بنقد الحداثة الغربية منطلقا من الأسس التي قام عليها روح التطبيق الغربي، وهدف المسيري من نقده هو تشكيل مدخل لتأسيس حداثة عربية بديلة أصيلة ومبدعة.

الكلمات المفتاحية: الرؤية النقدية, فلسفة الحداثة , عبد الوهاب المسيري

Abstract:

Through this study underlined "philosophy of modernity and postmodernism " we intended to cast an eye on the islamic modern interprise which is considered one of the predominant projects that influenced modern Arab-mind ,and this latter belongs to EL Messiri that criticised western modernity starting from western application way of thinking . EL Messiri aimed to build a method to achieve another unique Arab modernity .

Keywords: critical vision, philosophy of modernity ,Abdul Wahab Al–Mesiri

المقدمة

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيراوبعد: فيعتبر موضوع الحداثة في الفكر العربي من المواضيع التي تحتاج الى مزيد من الدراسيات والتحليلات الفلسفية والعلمية, ولا سيما ان كان من العسير بلوغ طرح موضوعي وفعال لها, حسب قابليتها للادلجة وحساسيتها وخطورتها في امة تعيش الماضي اكثر من الاهتمام بالحاضر , وتجعل من الحداثة طموحا واستشرافا تسعى الى بلوغه بالتطلع الى تجاوز شبح التخلف , ويتمثل عندها في الوقت نفسه مأزقا ومعضلة افرز الكثير من المشاكل في شتى المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية لا تناسب تراثها وهمومها وواقعها المحلي.ومن هذا المنطلق سنحاول بناء طرح جديد او بالأحرى متجدد لمسألة الحداثة في الفكر الاسلامي المعاصر ,يقوم على البحث في حقيقتها كإشكالية فلسفية ,يحتاج الكثير من القرّاء الى ادراك المنطلقات التي تتأسس عليه, والتداعيات التي اثارتها ولا سيما ان كانت ما تزال مسألة تثير الكثير من الخلاف والجدل من زوايا عدة, اهمها ماهيتها ومفهومها والياتها وعلاقتها بالتراث ونقدها وامكانية تطبيقها في عالمنا العربي المعاصر , وذلك بالرجوع الى رواد واقطاب الفكر العربي كعبد الوهاب المسيري .وقد افضت هذه الاسئلة الى استيعاب الحداثة الغربية ثم نقدها ليصل الى تقديم بديل عنها, اذ يعد مشروع المفكر المصري عبد الوهاب المسيري في جوهره مشروعا نقديا للحضارة الغربية, وقد اتجه هذا النقد نحو الحداثة وما بعد الحداثة, وتكمن اهمية هذه الممارسة النقدية في تفكيك النزعة التقديسية للحداثة الغربية ,والتي هي في الحقيقة تعبير عن الانهزامية التي مُنيت بها الروح العربية المعاصرة , والتي اضحت تنغلق على كل ما هو غربي بدعوى العلمية والتقدمية وغيرها من الادعاءات التي تنتهي الى اغفال الذات العربية وخصوصيتها, وفي معرفة تاريخها ولحظتها الانية المعاصرة ,فسادت الغفلة عن واقعنا ومشكلاته الحقيقية, وعلى ضوء ذلك كان هذا البحث بعنوان(الرؤية النقدية لفلسفة الحداثة وما بعد الحداثة في الفكر الاسلامي المعاصر عبد الوهاب المسيري نموذجا). اسأل الله تعالى ان نكون وفقنا في اعداد هذا البحث, وقد تطلب البحث ان ينعقد في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الاتي: المبحث الاول: تحديد المفاهيم المطلب الاول: مفهوم الحداثة في اللغة والاصطلاح المطلب الثاني: مفهوم ما بعد الحداثة المبحث الثاني: نشأة الحداثة الغربية ومصادرها واسسهاالمطلب الاول: نشأة الحداثة الغربية المطلب الثاني: مصادرهاالمطلب الثالث: اسسهاالمطلب الرابع : تأثير الحداثة الغربية في الفكر العربي المعاصرالمبحث الثالث: الرؤية النقدية للحداثة الغربية في فكر عبد الوهاب المسيري المطلب الاول: الاثار العقدية والاخلاقية لفلسفة الحداثة على الفكر الإسلامي المطلب الثاني: نقد العقل الغربي عند عبد الوهاب المسيري المطلب الثالث : الاتجاه النقدي للحداثة عند عبد الوهاب المسيري وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

المبحث الأول تحديد المفاهيم

المطلب الاول : مفهوم الحداثة في اللغة والاصطلاح

يبدأ الحديث عن الحداثة بالبحث في مفهوم ومعنى كلمة حداثة, الذي يجعلها مسالة خلافية لم يتفق الفلاسفة والمفكرين حول مفهومها.

ففي اللغة العربية : تعود الحداثة الى كلمة الحديث وهو نقيض القديم . والحدوث نقيض القدمة .حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة, واحدثه هو, فهو محدث وحديث ,وكذلك استحدثته[١] فالحداثة تشتق من المستحدث ويرادف الجديد والطارئ , حيث قال :"حداثة السن :كناية عن الشباب واول العمر"[٢] اي ترتبط بالجديد وكل ما هو غير قديم, وبالتالي فالحداثة تشتق من الحديث والمحدث من الامور

والآراء وهو الجديد الطارئ منها، والذي لم يكن معروفا ولا شائعا .وهو يستعمل إما للمدح فيدل على تفتح الفكر وإطلاعه على ما جد من المعارف وانعتاقه من التقليد، وإما للذم فيدل على الطيش والانسياق وراء كل جديد من الحاضر ومن دون تمعن في الماضي(٣) .

ومن خلال هذه التعريفات يظهر بان الحداثة لغويا تعني نقيض القدم , وهو الجديد , والمقصود العصر الجديد الذي تقوم فلسفته على بناء قواعد لها بعيدا عن كل قديم.

المعنى الاصطلاحي:

اما في المعنى الاصطلاحي فهو يختلف باختلاف المنظور الغربي والإسلامي لهذا المصطلح.فمن المنظور الغربي يقول جان بودريار : "إن الحداثة ليست مفهوماً سوسيولوجياً أو سياسياً أو تاريخياً، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد، ومع ذلك تظل الحداثة موضوعا عاما يتضمن في دلالته اجمالا التطور التاريخي بأكمله والتبدل في الذهنية ,أي إنها تعارض جميع الثقافات الأخرى السابقة أو التقليدية"(٤) ويوضح هذا إنَّ الحداثة ممارسة ارادت أن تناقض الأساس التي قامت عليها الثقافة الغربية في الماضي والتي كانت قائمة على الدين، وبهذا ابتدأت الحداثة في أوربا منذ اللحظة التي تفككت فيها الثقافة الدينية وظهرت الثقافة اللادينية ,وهذا لان الحداثة مختلفة ومتعددة الأوجه بتعدد تعريفاتها.و يعد بودلير Beaudelaire سباقا في بلورة المفهوم النظري لمصطلح الحداثة اذ يقول :"ما أعنيه بالحداثة هو العابر و الهارب و العرضي و نصف الفن الذي يكون نصفه الآخر أزليا و ثابتا"(٥) واما رولان بارت: " فقد اعتبرها زلزالا حضاريا عنيفا وانقلابا ثقافيا شاملا لم يتوصل الانسان المعاصر الى السيطرة عليه اذ هي موقف عام شامل ومعارض للثقافات التقليدية الشاملة"(٦) و تعني الحداثة :"نشوء حركات و نظريات و أفكار جديدة و مؤسسات و أنظمة جديدة تؤدي إلى زوال البنى التقليدية القديمة في المجتمع و قيام بنى جديدة "(٧)والحداثة تمثل :"أخلاقا شرعية للتغير، متخلية عن القديم منادية على الجديد، يدفعها مبدؤها دوما إلى ما هو أبعد، و إلى أن تستهلك أكثر و إلى أن تصبح إيديولوجيا التغيير من أجل التغيير "(٨) .

ومن المنظور الاسلاميفهي "اتجاه فكري اشد خطورة من الليبرالية والعلمانية والماركسية ,وكل ما عرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة , وذلك انها تتضمن كل هذه المذاهب الفكرية, وهي لا تخص مجالات الابداع الفني , والنقد الادبي , ولكنها تخص الحياة الانسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على حد سواء" , وهي بهذا المفهوم اتجاه جديد يشكل ثورة كاملة على كل ما كان وما هو كائن في المجتمع"(٩)ويقول د. عدنان النحوي :" لم تعد لفظة الحداثة في واقعنا اليوم تدل على المعنى اللغوي لها ,ولم تعد تحمل في حقيقتها طلاوة التجديد ولا سلامة الرغبة , انها اصبحت رمزا لفكر جديد , نجد تعريفه في كتابات دعاتها وكتبهم ,فالحداثة تدل اليوم على مذهب فكري جديد يحمل جذوره واصوله من الغرب بعيدا عن حياة المسلمين وحقيقية دينهم, ونهج حياتهم, وظلال الايمان والخشوع للخالق الرحمن"(١٠). والحداثة تدعو الى اعادة النظر في الكثير من الاشياء , والتحرر من القيود, فهي عملية تقدمية تنشد عصرا جديدا اقترن بالتطور والتقدم وتحرر الانسان , فالحداثة هي رؤية فلسفية وثقافية جديدة للعالم(١١).

وعندكما ننظر لهذه التعريفات نرى ان الحداثة من الصعب اختصارها في مذهب محدد, او مدرسة معينة, او قوانين وحدود واضحة. وهذا الامر يرجع الى ظروف نشأة هذا المصطلح في الغرب وشموليته , فهو ليس خاصا بفنون الشعر ولا خاصا بالعقائد ولا بالحياة الاجتماعية, بل هو ثورة عنيفة تكاد تدمر كل قديم وموروث .

- **المطلب الثاني: مفهوم ما بعد الحداثة** ان مصطلح ما بعد الحداثة من المصطلحات الأكثر التباسا وإثارة ، حيث اختلف حولها نقادها ودارسوها، نظرا لتعدد مفاهيمها ومدلولاتها من ناقد إلى آخر، إلى درجة التناقض والتداخل فيما بينها .وقد تبين واضحا أن أفكار ما بعد الحداثة مختلفة نسبيا عن مفاهيم الحداثة السابقة، ولكنها باختصار تعني(نقد الحداثة) , ومن ثم، يشير مصطلح ما بعد الحداثة بصفة عامة إلى أمرين يراهما النقاد والباحثون(١٢)

الأول : دور وسائل الإعلام في المجتمعات الرأسمالية في أواخر القرن العشرين، إذ إن نظرية تفسير التطورات الاجتماعية والثقافية عن طريق السرديات الكبرى لم تعد ممكنة أو مقبولة, وانه لم يعد ممكنا للأفكار أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الواقع التاريخي، فكل شيء هو النص والصورة.

والثاني : ارتباط ما بعد الحداثة بفلسفة التفكيك والتقويض، وتحطيم المقولات المركزية الكبرى التي هيمنت على الثقافة الغربية من أفلاطون إلى يومنا هذا , وتعبر هذه المواقف من ما بعد الحداثة عن موقف متشكك بشكل جوهري لجميع المعارف البشرية، وقد أثرت هذه المواقف على العديد من التخصصات الأكاديمية وميادين النشاط الإنساني من علم الاجتماع إلى القانون والدراسات الثقافية، من بين الميادين

الأخرى .وبنسبة كبيرة تُعد ما بعد الحداثة عدمية على نحو خطير، فهي تقوض أي معنى للنظام والسيطرة المركزية للتجربة، فلا العالم ولا الذات لهما وحدة متماسكة. ومن ثم فقد اعتمدت فلسفة ما بعد الحداثة على التشكيك والتقويض والعدمية، كما اعتمدت على التناص و اللانظام واللانسجام، وإعادة النظر في الكثير من المسلمات والمقولات المركزية التي تعارف عليها الفكر الغربي قديما وحديثا .ومن ثم، تزعزع ما بعد الحداثة حسب دافيد كارتر جميع المفاهيم التقليدية المتعلقة باللغة والهوية، وكثيرا ما تكشف النصوص الأدبية في ما بعد الحداثة عن غياب الانغلاق وتركز تحليلاتها على ذلك وتهتم كل من النصوص والانتقادات بعدم وضوح الهوية، وما هو معروف باسم "التناص" هو إعادة صياغة ، الأعمال المبكرة أو الترابط بين النصوص الأدبية[١٣]ولقد ارتبطت ما بعد الحداثة في بُعدها التاريخي والمرجعي والسياقي بتطور الرأسمالية الغربية اجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا، كما ارتبطت ارتباطا وثيقا بتطور وسائل الإعلام، حيث جاءت ما بعد الحداثة كرد فعل على البنيوية، والمقولات المركزية الغربية التي تحيل على الهيمنة والسيطرة والاستغلال، كما استهدفت ما بعد الحداثة تقويض الفلسفة الغربية، وتعريتها وتفكيكها لتظهر مرحلة جديدة هي ما بعد الحداثة، والتي يُعدّ من أهم اتجاهاتها الجمالية (التفكيكية)[١٤] .

المبحث الثاني نشأة الحداثة الغربية مصادرها واسسها

يعد المشروع الحداثي الغربي ميدان خاص فيه العديد من المفكرين والفلاسفة دون أي عارض أو تيار يحد من حريتهم، أو أفكارهم التي حملت طبعة غربية بإمتياز سمحت لكثير من المفكرين الدخول في عباءة الحداثة الغربية، التي لم تكف عن مساءلة نفسها ومناقشة نتائجها باعتبارها منظومة فكرية لصيقة بالغرب، يأخذها الغرور والمكابرة، وهكذا الحال في الحضارة الغربية؛ وعليه نقول :هل يمكن وضع تعريف محدد للحداثة، أم أنها تتأرجح بين أسسها الفلسفية التي تقوم عليها؟، وفيما تمثلت آثارها على الفكر العربي.

- **المطلب الأول: نشأة الحداثة الغربية** لا شك أنّ الحداثة، كمفهوم عام، ولد في الغرب وفق شروط ارتبطت بمرحلة هامة من تطور أوربا، وكانت مرحلة مليئة بالصراعات والتجاذبات .ومن ثم، فقد ظهر تيار الحداثة في الغرب نتيجة للمد الطبيعي الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثنية في العهدين اليوناني والروماني، امتدادا إلى عصر الظلمات، مرورا بالعصور المتلاحقة التي تزاحمت بكل أنواع المذاهب الفكرية، والفلسفات الوثنية المتناقضة والمتلاحقة .ولقد كان كل مذهب عبارة عن ردة فعل لمذهب سابق، وكل مذهب من هذه المذاهب كان يحمل في ذاته عناصر اندثاره وفنائه وقد اختلف كثير من الذين أرخوا ونظروا للحداثة الغربية حول بداياتنا الأولى، وعلى يد من ظهرت ونشأت، ورغم ذلك يتفق بعضهم على أن إرهاصاتها المبكرة بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يدي " بودلير " الفرنسي صاحب ديوان" أزهار الشر" . لكنها لم تنشأ من فراغ ، بل هي امتداد لإفرازات المذاهب والتيارات الفكرية والاتجاهات الأدبية والايدلوجية المتعاقبة التي عاشتها أوروبا في القرون الخوالي ، والتي قطعت فيها صلتها بالدين والكنيسة وتمردت عليه .وقد ظهر ذلك جليا منذ ما عرف بعصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي ، عندما انسلخ المجتمع الغربي عن الكنيسة وثار علي سلطاتها الروحية ، التي كانت بالنسبة لهم كابوسا مخيفا ، وسيفا مسلطا على رقابهم محاربا لكل دعوة للعلم الصحيح والاحترام لعقل الإنسان وتفكيره ، وفكره. ولقد أجمع المفكرون الأوروبيون على تقسيم تاريخهم إلى ثلاث حقبات رئيسية[١٥] :

١. العصور اليونانية ـ الرومانية القديمة، والتي امتدت من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الرابع أي طيلة ألف سنة وتسمى عصور العبودية.
٢. العصور الوسطى المسيحية، والتي امتدت من القرن الخامس بعد الميلاد وحتى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر أي طيلة ألف سنة أيضا؛ أي قبل عصر النهضة ، حيث كانت ثقافة العرب وتقنياتهم تتفوق على ثقافة الأوروبيين وتقنياتهم.
٣. وبدءا من عام ١٦٠٠ أصبح التفوق الأوروبي على العرب والصينيين

وسواهم واضحا لا لبس فيه ولا غموض، وهو ما يُسمّى (عصر النهضة) .ولقد حمل هذا العصر فكر الحداثة من بدايتها وكان على ثلاثة مراحل:

الأولى : في القرن السادس عشر، أو ما يطلق عليه عصر النهضة والإصلاح الديني.

والثانية : في القرن السابع عشر، وهو عصر الثورة العلمية الأولى، أي عصر غاليليو وديكارت وكيلر وسبينوزا، وكل أولئك الذين مهدوا الطريق للتنوير الكبير والثورة الفرنسية .باختصار إنها ثلاثة قرون حاسمة في تاريخ الغرب والعالم كله.

الثالثة : فقد حصلت في القرن الثامن عشر، وهو عصر التنوير. وقد تنوعت الحداثة ولم تكن في مجال خاص بل منها المادي والاقتصادي والفلسفي والسياسي والديني .وكل هذه الأنواع اشتركت في أمر واحد وهو حرية التفكير للفرد ورفع مستوى الذاتية.وفي ذلك، يرى أحد الباحثين : أن هناك ثلاث أزمات ميزت مسيرة الحداثة،الأزمة الأولى برزت في أواخر القرن الثامن عشر مع الثورة الفرنسية التي جسدت المُثل الحديثة في مجال السياسة، أما الأزمة الثانية فإنها ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر حيث تم الإعلان عن بداية انهيار مُثل التقدم والعقلانية والليبرالية، في حين الأزمة الثالثة فقد تفجرت في أواخر الستينات من هذا القرن، وما زالت لم تنتهي علاماتها وتعبيراتها[١٦] والذي أراه من خلال النظر إلى تاريخ الفلسفة الغربية، أن بداية الحداثة كانت في فرنسا مع انفجار الثورة الفرنسية ، على نحو ما يرى ذلك الناقد جمال شحيد" : انطلقت فترة الحداثة من رحم الثورة الفرنسية التي ركزت بالرغم من فترتها اليعقوبية الدموية على سيادة العقل والتعقل والعقلانية ، وهي مقولات انتشرت في عصر الأنوار الأوروبي، وأنسلت منه مجموعة من المفاهيم مثل إلغاء الحكم السياسي المطلق، إعلان حقوق الإنسان، وحرية الفرد، وفصل الدين عن الدولة العلمانية أو الدنيوية، وترسيخ دولة القانون، إطلاق المجتمع المدني، دمقرطة الثقافة والعلوم والمجتمع وترسيخ روح المواطنة، مع ما تحمل من واجبات وحقوق، وتركيز على العقد الاجتماعي الذي نادى به جان جاك رسو"[١٧]وبهذا يتضح لنا أن الحداثة بمفهومها الخاص ظهرت في فرنسا، وكل ما كان قبلها كان مجرد حركات إصلاحية؛ دعّمت هذا الاتجاه نحو الحداثة وما بعدها، وأدت في
النهاية إلى ظهور الحداثة بحقبها المتعاقبة.

المطلب الثاني: مصادرها

بَنَت الحداثة أفكارها من مصدرين أساسيين هما:

١. المصادر المرجعية: وهي الأساس في تلك الفترة، وتتمثّل في:

- الفلسفة اليونانية: بدأت الفلسفة اليونانية قبل ميلاد المسيح بستة قرون تقريبا، ولكنها لم تكن تعتمد على رسالة إلهية، ذلك أنه لم يخرج في اليونان أي ديانة ربانية، بل كانت معتقداتهم مليئة بالديانات الوثنية المتنوعة، مما كان له تأثير في إنتاجهم الفلسفي .وهو ما ظهر في عدم اهتمام فلاسفتهم بالبحث في مسألة الوحي كمصدر للمعرفة، فرأوا أن مصادر المعرفة هي الحس والعقل؛ بذلك بدأت وبذلك تنتهي منفصلة عن الوحي الإلهي انفصالاً تاما[١٨] . وقد تمثّلت الفلسفة اليونانية في مدرستين كبيرتين هما: المدرسة الأبيقورية :وهي نسبة إلى أبيقور الفيلسوف اليوناني والذي كان يرى أن اللذة هي أساس الأخلاق، وأن الفلسفة هي الخير الأوحد لأنها متعة عقلية.والمدرسة الرواقية : وهي التي أسّسها الفيلسوف اليوناني زينون، في القرن الثاني قبل الميلاد .وسُمّيت رواقية لأنه رائدها : زينون، وكان يعلّم في رواق .وهذه المدرسة ترى أن الحكمة نفس الأنسان وفق قانون الطبيعة، وهو قانون العقل دون العواطف والأفكار التي تحيد عن هذا القانون[١٩].

- الديانة المسيحية: لقد قامت في عصر النهضة فلسفات كثيرة ونظريات متعددة، ومن أبرزها الحداثة .وكلها كانت على عداء مع الكنيسة وما تمثله من الدين، وذلك نتيجة الطغيان الذي كانت تمارسه الكنيسة على العلم والتعلم والتطور .ومن ثم، استقت الحداثة من هذا الطغيان مبدأ إقصاء الدين وتعاليمه من الحياة العامة، وتبنت كل ما يخالف التعاليم الدينية والقضايا العقدية[٢٠]ولقد دخلت المسيحية أوروبا على يد القديس بولس، حيث اتسعت الديانة النصرانية وتغيرت كثيرا من حيث أتباعها ومن حيث تعاليمها؛ إذ تعددت الأناجيل، كما تغيّرت من حيث عقائدها بعد اختلاطها بالثقافة اليونانية .ولقد هيمنت في أوروبا لأنها كانت تُعَد ديناً إلهيّا قائما على الوحي، على العكس من الفلسفة اليونانية التي قامت على غير الوحي . ولذلك اختلفت نظرة الفلاسفة المسيحيين حول مصادر المعرفة؛ هل هي الوحي أم العقل أم التجربة؟ فمنهم طائفة تقول :إنّ الوحي فيه العلم الكافي لسد حاجة الإنسان ولا حاجة للفلسفة ومنهم طائفة أخرى تقول :إن العقل والوحي مصدران للمعرفة .وهذه الطائفة في آراء أصحابها على صنفين: صنف من يرى أن لكل من هذين المصدرين مجالاً خاصاً، وأن العقل أوثق من النقل، وأن الحجة النقلية لا ترقى إلى الحجة العقلية.وصنف يقول :إن المعرفة تتمثل في العقل التجريبي؛ إذ إن القيمة العلمية إنما تحصل بالبراهين الفلسفية[٢١]

٢. المصادر المعرفية: وتتمثل في:

أ- المدرسة العقلية :أول ما بدأت العقلانية كانت كردة فعل لما كانت عليه المسيحية من تعطيل للعقل وللإنسان، وجعله تحت تحكم الكنيسة و رجالها ، ومن ثم أخذت المدرسة العقلية تبرز مكانة العقل وأهميته .وهذا العقل الذي سعت الفلسفة الحديثة لإبرازه يعرّفه العقلانيون

بأنه :"مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة المتميزة بضرورتها وكليتها واستقلالها" وهي الفارقة كما يرى لايبتنز بين الانسان والحيوان. وقد اختلف إطلاق المذهب العقلي بحسب البيئة الثقافية التي يشيع فيها، فقد أُطلق في اللاهوت المسيحي مقابلاً لمذهب القول بخوارق العادات .ولذلك رفض ما لا يتماشى مع العقل من أمور الوحي الغيبية والمعجزات وغيرها .وهذه المدرسة كانت ساساً من أسس الحداثة الغربية.

ب- المدرسة التجريبية: وقد ظهرت هذه المدرسة في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه المدرسة العقلانية، ولكنها لم تكن مذهباً فلسفياً قائماً على أسس ثابتة إلا بعد عصر النهضة في القرن السادس عشر وما بعده، وذلك على يد فرنسيس بيكون، وجون لوك, وديفيد هيوم وعندما بدأ بيكون هذه الفلسفة، قام أولاً بالموازنة بين الاتجاه التجريبي وبين الملاحظة والبحث العلمي في الطبيعة، حيث قرر انه بالإمكان أن يصل الإنسان إلى معرفة بعالم الطبيعة على ضوء ملاحظاته, ورسم لهذه الوجهة الجديدة للفلسفة منهجا يقوم على الاستقراء, ثم سار جون لوك على خطى بيكون ولكنه هاجم المذهب العقلي عن طريق هدم المبادئ الفطرية مثل مبدأ عدم التناقض وفكرة لله، فهذه المبادئ يراها العقلانيون مستقلة عن التجربة ووجودها في العقل منذ وجود الانسان, ولكن التجريبيين يرفضون ذلك الوجود العقلي السابق للمعرفة . وعلى ضوء ذلك جعلوا العقل مصدرا للمعرفة لا يقوم الا بعد التجربة الحسية[٢٢] .

المطلب الثالث : أسسها

لقد وضعت الحداثة لنفسها اسسا مهمة جدا جعلتها تتصف بصفات الديمومة والاستمرارية, وتتمثل هذه الأسس بما يأتي:

١. **العقلانية:**ان الحداثة اعطت مكانة خاصة للعقل باعتباره مرجعا لكل معرفة ومبدأ لكل نشاط علمي , ومن شانه ان يحدد علاقته بالوجود الخارجي. وما دام ان العقل هو المجال الذي يتحرك فيه الخطاب الحداثي , فان العقلانية هي روح الانسان الحديث ومفتاح الحداثة[٢٣] , ولهذا ترتبط فكرة الحداثة ارتباطا وطيدا بالعقلنة والتخلي عن التبعية والانقياد , وبهذه العقلنة اصبح الانسان يتأمل وينقد لكونه ذاتا عاقلة تميز وتبرهن على الاشياء وتعللها. وبهذا لا يمكن فصل الحداثة عن العقلنة , فالحداثة مشروع تعميمي وشمولي يقوم على عقلنة جميع انماط الحياة[٢٤] .

٢. **الذاتية:** قامت الحداثة على تحقيق سيادة الإنسانية لِما كانت تعانيه في الغرب في العصور الوسطى من الظلم وإهانة الإنسان والسيطرة من رجال الكنيسة و رجال السلطة، فالحداثة في معناها الحقيقي استعادة ثقة الإنسان بنفسه من خلال إعطائها حقها ومسؤوليتها في كل المجالات، باعتبار أن الإنسان ذات متحررة من كل القيود ومستقلة ؛ إذ هي مقر ومرجع الحقيقة واليقين، وهي المركز والمرجع الذي تنسب إليها الحقيقة لكل شيء . ومن ثم أصبح الإنسان بمقتضاها مقياسا لكل شيء .ولذلك يمكن القول : إن الحداثة جاءت بمثابة الكشف عن الذات الإنسانية حتى تتحقق سيادتها، وتزيل كل الأوهام والأساطير والخرافات وبالتالي يتحرر الإنسان من ظلامية العصور القديمة، ويحقق حريته في فكره، لأن الإنسان بقدر ما أقترب إلى ذاته ابتعد عن عالم الآلهة وأساطير العهد القديم [٢٥] .فثمرة انتصار الحداثة هي تحرير الروح واستقلالية الذات البشرية , ومعنى استقلالية الذات تعامل الانسان مع نفسه كذات واعية ,سيدة ومريدة وفعالة , وهذا هو مبدأ الذاتية[٢٦].

٣. **الحرية:**ولا يمكن للعقلانية والذاتية أن تكون أساسا إلا بوجود أساس ثالث، هو الذي يعطيها الصلاحية في هيمنتها؛ ألا وهو مبدأ الحرية . وهو السبب في تضخيم الذاتية ، إذ جعلت الحرية الإرادة الإنسانية أساس بناء المجتمع والدولة، وجعلت للمرء مقدرة التشريع لنفسه من دون سند رباني أو عون خارجي . وهذا ما يؤكد على مطلقية الفكر الحداثي في التفكير والتعبير ، وفي كل شيء .ولعل المجال السياسي من أبرز المظاهر التي تجلت فيها الحرية؛ إذ هي مبدأ الديمقراطية باعتبارها ممارسة تتجسد في مختلف مفاصل المجتمع[٢٧].

المطلب الرابع : تأثير الحداثة الغربية في الفكر العربي المعاصر

لا شك ان فكرة الحداثة عند المفكرين ترجع الى ذلك الاحتكاك الناتج بين المفكرين العرب بالحضارة الغربية , والتي فرضت على الفرد العربي الحاق وراء هذه الحداثة . والتي حمل بها المفكرين والمصلحين لواء الاصلاح . مما ادى الى انبعاثها وبالتالي انقسام الفكر العربي الى تيارات فكرية مختلفة ساهمت في نشر العديد من الافكار, ولعل ابرز هؤلاء المفكرين المعاصرين عبد الوهاب المسيري[٢٨]. بمشروعه الفكري الذي تمحور حول نقد الحداثة الغربية, فنجد أنّ المسيري يقول:" فمثلً أنا أتحدّث عن نموذج الحضارة الغربيّة باعتباره نموذجًا مادّيًا علمانيًا شاملً داروينيًّا منفصلً عن القيمة"[٢٩]وفي موضع اخر يقول المسيري :" النموذج المهيمن على الحضارة الغربيّة هو النموذج المادّيّ"[٣٠].فالحديث عن نقد الحداثة الغربية واستقبالها لدى المجتمعات العربية، يعتبر من النقاط الجوهرية وبصدد الحديث

عن مسألة الحداثة، إذ أن لها إفرازات وانعكاسات لا تحصى ولا تعدويؤكد الكثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين بمختلف اتجاهاتهم ان لها افرازات وانعكاسات لا تحصى ولا تعد ويبدوا للكثيرين أن الداعين للحداثة دعوا إلى استقبالها كما وجدت في أوروبا أي انها نموذج للتطبيق إلا أن أغلبهم في واقع الأمر ينتقدون نقلها وتطبيقها بحذافيرها كما وجدت في مجتمعنا العربي الإسلامي، حيث يتحدثون عن حداثة خاصة ويرفضون عالمية الحداثة الأوربية، فهذه الأخيرة لا تستطيع الدخول في حوار نقدي تمردي مع معطيات الثقافة العربية لكونها لا تنتظم في تاريخها , انها إذا تقع خارجها وخارج تاريخها لا تستطيع أن تحاورها حوارا يحرك فيها الحركة من داخلها, انها تهاجمها من خارجها مما يجعل رد الفعل الحتمي هو الانغلاق والنكوص(٣١)، وهنا لابد من مراعاة السياق التاريخي الغربي للحداثة وتمايزه عن السياق العربي لكي نتفادى كل تمرد ورفض المحلي للخارجي، في السياق ذاته يؤكد عدد من المفكرين بأن لاستقبال الحداثة الأوربية عند العرب إفرازات ونتائج سلبية تستحق الدراسة والاهتمام، بل وتستحق تحريات ميدانية ودراسات علمية ونظرية واسعة لكي نفهم كيف استقبلت الشعوب الأخرى هذه الحداثة التي ولدت في سياق اخر وتاريخ اخر غير تاريخها(٣٢)وذلك لخطورة هذه المسألة وانعكاساتها على واقع الشعوب العربية والإسلامية، تلك التي تظهر على وجه الخصوص في العنف والإرهاب والصدام الحضاري ...وغير ذلك من الإفرازات في العالم المعاصر، باعتبار ان تلك المعطيات التاريخية تمثل إحدى إفرازات الحداثة في النصف الثاني من القرن العشرين . فللحداثة مخالب تحت قفازات من حرير(٣٣)ففي نفس هذا الاتجاه الناقد للحداثة وروادها، كرس المسيري مختلف جهوده، لكن وفق رؤية جديدة تقوم على تأسيس البديل للحداثة الأوربية إذ انتقد مختلف الرؤى الفلسفية التي طرحت مسألة الحداثة في الفكر العربي المعاصر، وفي الوقت نفسه هو على خلاف علماء الدين لم يكتف بالهدم والتقويض للآراء الداعية للحداثة بل قدم البديل لها هو ما سماه بالحداثة الإسلامية(٣٤).

المبحث الثالث:الرؤية النقدية للحداثة الغربية في فكر عبد الوهاب المسيري

لا شك أن الحداثة قد أعطت الأهمية البالغة للعقل الأوروبي في جميع مباحث المعرفة، مساهمة في تحرير الإنسان، ومساعدة على تقدمه على أساس العقل التقني والعلمي القائم على إعطاء الإنسان مبدأ السيادة في كل شيء، ومن هنا كانت الحداثة الغربية محل نقاش وإنتقاد العديد من المفكرين، ومن بينهم المفكر عبد الوهاب المسيري الذي عمد إلى مراجعة مبادئها و شروطها وقيمها، بغية الكشف عن مدى صلاحها، وهذا ما نلمسه في دراسته الحداثية، وعليه نتساءل :ما هي الرؤية النقدية للحداثة عند عبد الوهاب المسيري؟ .

المطلب الاول : الاثار العقدية والاخلاقية لفلسفة الحداثة على الفكر الاسلامي

لقد كان للحداثة دورا في التغير الفكري والديني والأخلاق للعالم العربي؛ إذ إنها لم تدخل بسلام كما يرى البعض، بل كان لها آثار بالغة على الجانب العقدي والأخلاقي للمجتمع العربي، منها:

١. **الآثار العقدية**:لما كان مفهوم الحداثة في العالم العربي هو الانقضاض على كل موروث، وإما هدمه أو نقضه ، فقد عمدت إلى الأصلين المكونين للدين الإسلامي الكتاب والسنة وبدأت بهما، فأخذت بنشر الشكوك حولهما ومصداقية ربانيتهما.

ـ **نقد ربانية القرآن الكريم والرد عليه**:لم ينظر الحداثيون إلى القرآن الكريم على أنه من مصدر إلهي، بل يرونه نتاجا بشريا تاريخيا؛ تضافرت على تأسيسه مجموعة من عوامل سياسية واجتماعية .وهذه النظرة لم تكن حديثة الولادة في عصر الحداثة ومن صنع الحداثيين، بل هي من عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن جددها الحداثيون وسعوا للمغزى ذاته، مع اختلاف الأسلوب والألفاظ.وهذه الدعوى التي أدعاها الحداثيون من أن القرآن هو نتاج بشري تاريخي يحتاج إلى دليل .ولو نظرنا إلى القرآن نظرة تمحيص وتدقيق لوجدنا أن الدعوى الأولى باطلة من عدة وجوه:

أولا : إن القرآن عندما أتى به النبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن ممن يخالط الشعراء لكي يُقال أنه ربما تأثر بهم، وأيضاً كيف للنبيﷺ أن يعرف أخبار الأمم السابقة، ويعلم أخبار الأولين والآخرين والأمور المستقبلية، وكيف أمتلك الجرأة وهو بشر على تحدي جميع بُلغاء العرب وفصحائهم حتى يأتوا بمثل هذا القرآن، وأمهلهم ثلاثا وعشرين سنة دون جدوى، بأن يجاري أحد منهم هذا البلاغة العظيمة.

ثانيا: ثم إننا عندما نقرأ القرآن لا نجد فيه أي مشاعر إنسانية؛ تدلّ على أنه من مصدر بشري، فهو لم يتكلم عن أحزان النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن آلامه، لا في عام الحزن الذي مرَّ به، ولا عن إخراجه من مكة، فكيف لبشر أن يؤلف كتابا ولا يذكر فيه الظروف المحيطة به؟والإجابة على مثل هذه التساؤلات تبين بوضوح أن القرآن رباني المصدر ، فهو تنزيل من الحكيم العليم، الذي يعلم ما يحتاج

إليه البشر في القديم والحديث .فالقول إذن، بعدم ربانية القرآن يقلل من عظمة القرآن في نفوس المسلمين، وهذا يجُرّ إلى تفكك المسلمين وإضعافهم بإبعادهم عن مصدر قوتهم وعزتهم القرآن، وبالتالي تصبح لديهم القدرة على تفسير الآيات بما يتناسب مع ما يريدون الوصول له، وبالتالي يصبح باستطاعة أي مفكر أو ناقد نقد القرآن الكريم (لأنه نتاج بشري ولو كان ربانيا فسيكون محاطا بقدسية)؛ لا يستطيع معها أحد من أصحاب الأهواء التجرؤ عليه ، ومن ثم تفقد الأحكام القرآنية روحها، وتصبح مجرد كلمات؛ يفهمها كل شخص بطريقته الخاصة، بعيد عن الهدف الاسمى منها(٣٥) .

ـ نقد السنة النبوية وانكارها والرد عليه:

اجتمعت جميع التيارات الحداثية في نظرتها للسنة المطهرة، على تهميش السنة وإلغاءدورها البياني للقرآن ، و على ذلك رفضوا المفهوم المعروف عن السنة بأنها : كل ماصدر عن النبيﷺ من قول أو فعل أو أمر أو نهي أو تقرير، ويرون أن هذا كان سببا في جمود الإسلام وأنه غير مناسب لكل زمان ومكان .وعلى هذا قالوا إن المفهوم الصحيح الذي يتماشى مع روح العصر هو أن السنة النبوية اجتهاد من النبي ﷺ في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات وأخلاق آخذين بعين الاعتبار العالم الموضوعي الذي يعيش فيه(٣٦) .

ولكن هناك مزالق خطيرة في هذا المفهوم، منها :القول بأن السنة النبوية اجتهاد، هذ ينزع عن السنة أي خصوصية بكونها وحيا من الله عز وجل ، وقولهم بالعالم الموضوعي يقصرها فحسب على الزمن الذي كانت فيه، ويجعلها لا تتناسب مع العصور التي بعده .وخلاصة قولهم في ذلك :أن السنة النبوية غير صالحة لعصرنا الحاضر، وغاية ما تمثله أنها اجتهاد قام به النبي صلى الله عليه وسلم في زمان ومكان محددين؛ غير ملزم لمن جاء من بعد .ومن ثم، فأصحاب هذا القول يحاولون التأكيد على أننا في هذا العصر قادرون على تحويل القرآن من مطلق لنسبي، على نحو ما فعل النبيﷺ وليس عين ما فعل؛ بمعنى أن لدينا القدرة على فهم الآيات القرآنية بدون الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.وهذا التأويل لمفهوم السنة لا شك أن فيه خطرا كبيرا على عقيدة المسلم ، فهو يتناقض مع آيات القرآن التي تأمر بطاعة النبي ﷺ، قال تعالى :﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(٣٧) ، وقال تعالى :﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾(٣٨) , وهذا تأكيد من الله عز وجل أن الطريق للوصول لمحبته هو إتباع سنة النبي ﷺ، وكذلك أكد القرآن على أن السنة وحي وليس اجتهاد من النبي قال تعالى :﴿ إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى ﴾(٣٩) ، وأيضاً ما ورد في القرآن من عتاب للنبي ﷺعندما اجتهد في أسرى بدر وعندما استغفر للمشركين.فهذا كله يدل دلالة قاطعة على أن السنة النبوية كانت تحت الرقابة الإلهية، فليس للنبي الاجتهاد في الشرع إلا بوحي من الله عز وجل.ويبقى سؤال إن كانت السنة النبوية لا تصلح لكل زمان ومكان، فهل يُحرمُ الثوابَ مَنْ يلتزم بها اقتداء عليه افضل الصلاة والسلام ؟ وهل يقتصر ثواب من عمل بها على من كان في عصر النبي فحسب؟ أم أن الثواب جزاء لكل من اتبع النبيﷺ في كل زمان ومكان؟ وكذلك الأمر في عقاب من خالف سنة النبي ، فهل العقاب فحسب لمن كان في زمن النبي؟ أم لكل من اتبع سنته في كل زمان ومكان(٤٠) .

٢. **الاثار الأخلاقية والاجتماعية**

ـ نقد ربانية القيم الأخلاقية والرد عليه: ان العقل الحداثي يمتاز بأنه عقل يفصل الأشياء بعضها عن بعض ، طالباً تحليل الكل إلى أجزائه ، أو رد المجموع إلى عناصره الأولية، ولهذا فقد فُصل بين التربية والدين في المشروع عن طريق علمنة التربية , ونزع الطابع الديني من نصوصها ومضامينها المختلفة .وقد سعى هذا العقل إلى تحرير الأخلاق من سلطة المعتقدات الدينية ، ومن هنا فصلت الحداثة الأخلاق عن الدين فصلاً نهائياً؛ مؤسِسة لأخلاق بديلة، أخلاق من طبيعة علمانية، مثل :أخلاق المواطنة ، حقوق الإنسان، وحقوق الحيوان وغيرها ، وقد قطعت الوشيجة بكل القيم الدينية.(٤١) ولذلك لم تستمر الأخلاق الحداثية وبدأت بالتحول والتغير، أما الأخلاق الإسلامية فمصدرها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا مدخل فيها للآراء البشرية، أو النظم الوضعية، أو الأفكار الفلسفية، و لذا اتسمت الأخلاق الإسلامية بسمة الخلود والصدق والصحة، و لما كانت الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، كانت صالحة لجميع الناس في كلِّ زمان، وفي أيِّ مكان، نظرًا لما تتميز به من خصائص، فلا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان؛ لأنها ليست نتاجًا بشريًّا، بل هي وحي من الله تعالى لنبيه عليه افضل الصلاة والسلام .

المطلب الثاني : نقد العقل الغربي عند عبد الوهاب المسيري

الحداثة لها جاذبية شديدة مثل الخطاب الفلسفي المادي , وهو خطاب مريح لأنه يتوجه لمسائل مباشرة ومحسوسة, الحواس الخمس , والرغبات , والاحتياجات المادية ويقدم إجابات سهلة وتفسيرات سريعة وان كانت سطحية , فهذا النموذج يتحاشى تناول أي إشكاليات إنسانية عميقة مقل قضية المعنى والهوية والهدف.وان الفلسفة المادية تتعامل مع الانسان من خلال قانون الجاذبية , ومن السهل على الانسان ان يسقط في الوحل على ان يصعد الى النجوم او حتى يتطلع اليها, فالسقوط في الوحل اسهل شيء , لان قانون الجاذبية يساعد على ذلك , والفلسفة المادية تبسط الأمور فكريا وإجرائيا, ولذلك لها جاذبية خاصة[٤٢]ولذلك يمكن ان نجمل نقد المسيري بما يأتي:

١. جدل الموجب والسالب او المستنير والمظلم داخل الواقع الحضاري الغربي هنالك ما يثير الاعجاب , وهنالك ما يحث في النفس الشعور بالغثيان , فتارة يظهر التنظيم الإداري المحكم, والمؤسسات البيروقراطية القوية, والإنتاج العلمي الوفير, والذي ما يتماشى مع إحساس الانسان الغربي بالاغتراب عن ذاته, فيظهر من ذلك الجريمة والانتحار والمخدرات والشذوذ الجنسي والاباحية, ناهيك عن تدمير وفتك بالطبيعية, وحربيين غربيتين عالميتين أتت كل واحدة منها على الأخضر واليابس, وأتبعتها ظهور أسلحة الدمار الشامل. هنا يطرح السؤال نفسه ايهما اصل: هل الجانب المستنير في الحضارة الغربية ام الجانب المظلم ؟ وايهما اسبق, وهل يرد البعد المضيء والنير الى المظلم ام العكس, وهذه الأسئلة هي محور جدل كبير بين دعاة الاستنارة الغربية ورافضيها في الكر العربي المعاصر. وهذا الجدل يتراوح بين الأصل والفرع , وبتعبير الفلاسفة المسلمين الأوائل , ما هو جوهري ثابت وما هو عرضي او عارض[٤٣].

٢. نجد أنّ المسيري يؤكّد على جوهريّة البعد المظلم وعرضيّة البعد المنير في الحضارة الغربيّة، وسرّ التأكيد على ذلك يرجع إلى البعد النظريّ ممثّلً في حركة الاستنارة، وجدل الاستنارة المظلمة والاستنارة المضيئة وثانيًا إلى التحقّقات الواقعيّة لفكر حركة الاستنارة، فمن المنطقيّ أنّه إذا كان الأصل هو الاستنارة المظلمة، فلا بدّ وأن يكون التحقّق الواقعيّ الأصل فيه أنّه ظلاميّ حتى لو ظهرت بعض الأبعاد المنيرة[٤٤] .

٣. وعلى هذا، فإنّ بيان موقف المسيري من ما بعد الحداثة يوضِح لنا أمورًاعديدةً تتعلّق برؤيته وموقفه الفلسفي، ونظرتِه إلى الحضارة الغربية المعاصرة على مستوياتٍ عديدةٍ، بالإضافة إلى تنبُّهِهِ هنا إلى العلاقة ليس فقط بين أعلام ما بعدالحداثة واليهودية والصهيونية، بل بين ما تروِّجه من مفاهيمَ وتصوّراتٍ تقودنامن الاختلاف والأرجأ والأثر، إلى اللاأساس والسيولة الدائمة وإلغاء أيّ سياقٍ وانتهاكِ كل الحدود . ومن هنا تأتي أهمية الوقوف عند موقف المسيري النقدي من ما بعد الحداثة، الذي يختلف عن موقف معظم الأساتذة العرب المعاصرين منها من حيث مستوى التناول والتحليل . فالبعض منهم اكتفى بالعرض، والبعض تناول ما بعد الحداثة على مستوى الأدب والنقد الأدبي(التفكيكية والفكر العربي)،بينما حاول المسيري مناقشة ما بعد الحداثة على مستوى الفلسفة وتاريخ الأفكار.وهذا يقتضي تناولَ موضوعِ اليهودية والعلمانية وما بعد الحداثة قبل أن نعرض على التوالي للأصول الفلسفية التي مهّدت لما بعد الحداثة عند نيتشه وهايدجر، ثم لأعلام تيّار ما بعد الحداثة من فلاسفة الجماعات اليهودية الذين تناولهم المسيري في موسوعته[٤٥] .

٤. ويردّ المسيري سبب نجاح الغرب إلى ظاهرة الإمبرياليّة، إذ يقول " ولعل من اهم أسباب نجاح النموذج الحضاري الغربي هو الإمبرياليّة الغربيّة التي حقّقت مستوى معيشيًّا مرتفعًا للإنسان الغربيّ ومكّنته من تشييد بنية تحتيّة مادّيّة قويّة، كما أنّها ساعدته على تصدير مشاكله الاجتماعيّة والمادّيّة الى الشرق"[٤٦] وهذا النصّ يلخّص لنا فيه كاتبه سّر نجاح النموذج الغربيّ على المستويّين الداخلّي والخارجيّ إذ من الداخل تمّ تجييش الشعب، وذلك من خلال علمنة المسيحيّة، أي استبعاد البعد الإلهيّ(المتجاوز)، وأمّا في الخارج، فكانت تحرّكهم الأيديولوجيا الداروينيّة باسم الإنسان الأعلى، الذي يحقّ له امتلاك كلّ شيء، والإنسان الأدنى لا بدّ أن يكون تابعًا خاضعًا له، وهذا ما يعطي مشروعيّة للتحرّك نحو استدمار الشعوب الأخرى، ومن هنا تسنّى للغرب أن ينهب العالم ويستعبد شعوبه[٤٧] .

المطلب الثالث :الاتجاه النقدي للحداثة عند عبد الوهاب المسيري

نفذ مفهوم الحداثة إلى بيئات فكرية وثقافية مغايرة للبيئة الفكرية والثقافية التي تولد عنها ونشأ فيها، ومنها البيئة العربية التي مثّلت صدى لها؛ خاصة في أدبيات العالم العربي ، ذلك أن محاولات مختلفة البواعث لنشر هذا الوافد في المجال التداولي العربي الإسلامي، رفعت لواء نزعة التغريب، تحت دعوى أن أفضل طريق لمواجهة المشروع الغربي الحديث تتمثل في استيعاب آثاره، وتمثّل منجزاته مكاسبه وبالتالي الأخذ بالحداثة التي صنعت بها أوربا شوكتها وهيبتهاوأصحاب نزعة التغريب أولئك لم يترددوا في النهل من منابع الحداثة؛ متطلعين إلى توطين مكتسباتها المنهجية والمعرفية في نسيج الثقافة العربية الإسلامية .وفي مقابل هذه النزعة التغريبية التي تسعى إلى التجديد والتحديث، فإن هناك من المفكرين العرب من تحرّز من هذا الوافد الغريب وتحفّظ بشأنه، فعمل على التعاطي معه بتحليله وتتبع

مساراته والوقوف عند اثاره ونتائجه وبنقده وبيان محدوديته ومن أولئك المفكرين العرب المفكر عبد الوهّاب المسيري أحد أبرز المفكّرين العرب في القرن العشرين، وقد تميّز بإنتاجه الفكريّ الخصب، وانشغاله بهمّ النهضة العربيّة والإسلاميّة، فقدّم مشروعا فكريّا نقديا محاولاً بهذا النقد البنّاء أن يُعيد صوغ معاني الحداثة تنظيراً وتطبيقاً، بما يتلائم مع الحضارة الإسلامية.ويتمثّل نقد المسيري للحداثة الغربية في سؤالٍ مركزيّ :ما هي أهمّ تحيّزات الحداثة الغربية؟ وهل تصلح هذه الحداثة لأن تكون مشروعاً للنهضة العربية والإسلامية؟ وماهي البدائل لتجاوُز هذه النقائص والتي يُمكن أن تُتّخذ كأساسٍ لبناء مفهومٍ إسلاميّ للحداثة يتماشى مع أصالتنا وخصوصيّة الأمّة العربية والإسلامية(٤٨) لقد استخدم المسيري مصطلحاً جديداً في نقد الحضارة الغربية في أبعادها المعرفية هو مصطلح" فقه التحيّز"، وأراد به أن يكون أداة ووسيلة لتحديد التحيّزات الغربية الكامنة في المناهج والأدوات التي يستخدمها الباحثون العرب في دراساتهم، فكثيرون منهم يرون أنّ القيَم الغربية هي قيَم عالميّة، ويتبنّونها من دون إدراك خصوصيّتها الغربية، سواء أكان هذا التبني بوعيٍ أم من دون وعي، ففي كتابه (دراسات معرفية في الحداثة الغربية) مستخدما المنهج التفكيكي في كشف التناقضات الداخلية للحداثة الغربية، تطرق المسيري إلى مفهوم الحداثة، مبينا انفصالها عن أي قيمة عليا. وعلى ذلك ، يعرّفها المسيري الحداثة على أنّها تبنّي العِلم والتكنولوجيا والعقل كآليات وحيدة للتعامل مع الواقع، من ثم كانت سببا في تفكيك الإنسان .ثم ذكر بعضا من السمات العامة للنموذج المعرفي والحضاري الغربي الحديث، مشيرا إلى أنّ أهمّ خصائص الحداثة الغربية تتلخّص في أنّ المادة هي أساس الفكر ومصدر المعنى والقيمة، وفي أنّ التكنولوجيا العلمية، هي التي تمثّل معيار القيمة وتعمل على السيطرة على الطبيعة(٤٩) ومن هنا يرى المسيري أنّ الحداثة الغربية تمثّل منظومة إمبريالية داروينيّة تحكمها العقلانية المادّية في إطار منظومة ثُنائيّة الإنسان والطبيعة، حيث الإنسان المتألّه؛الإنسان الذي يجعل نفسه مركز الكون والطبيعة . لذا نقد المسيري هذه الحداثة ووقف ضدّ مقولاتها موقف المُهاجِم لها .وأول وأهم هذه المقولات مقولة :العقلانية التي تعتبرالمظهر الأساسي الأوّل للحقيقة .وهذا ما جعل فكرة الحداثة مُقترنة بها اقتراناً وثيقاً.ويشير المسيري إلى أنّ من أبرز مظاهر التحيّز للحداثة الغربية مظاهر التحيّزللتقدّم المادّي، فالتقدّم سمة حضارية تخصّ الإنسان وحاجاته .ويصف المسيري هذاالتقدّم المادّي بالتحيّز الأكبر، وذلك بعدما أصبح مفهوم التقدّم هدفَ الناس كلّهم .ومن هنا تأكيده على أنّ القوام الأساسيّ للحضارة الغربية هو تقدّمها المادّي وسيطرتها على العالَم بوسائل الحداثة(٥٠) .ويعود المسيري في كتابه (الحداثة وما بعد الحداثة) فيؤكد أن هذه الحداثة انتقلت من الصلبة إلى السائلة، وهو ما يسمى ما بعد بعد الحداثة؛ أي الحداثة السائلة التي تقوم على التقويض والفوضى و اللاأخلاقية، ثم يعود في نهاية كتابه(دراسات معرفية في الحداثة الغربية) ليقدّم لنا نموذجه البديل والمقترَح .وهو البديل الذي يقوم على تراثنا الإسلامي والحضاري العريق، ويتسم بكونه توليديا غير تراكمي، ينطلق من الإنسان، ولا يعتمد على النظرة الضيّقة التي تفترض أنّ ثمّة نقطة واحدة تتقدّم نحوها الظواهر كلّها والبشر كلّهم، وكأنّ هناك معرفة واحدة وأمّة واحدة، فهذا من وجهة نظره، يتنافى مع العقل والتجربة الإنسانية .أمّا العلم البديل، الذي ينتجه النموذج المعرفي البديل، فهو علم إنساني لا يدّعي الكمال، ولكنّه اجتهاد مستمرّ، يدرك أنّ عقل الإنسان لا يُمكنه الإحاطة بكلّ شي. و يؤكد المسيري على أن النهضة الإسلامية لن تتحقق إلا إذا كانت هذه النهضة قائمة على مبادئنا وقيمنا وتراثنا .ومع ذلك لا يمانع في الأخذ من الغرب، لكن بشرط أن يتّفق ما نأخذ به مع خصوصيّتنا، وألّا يُهدِّد هويّتنا الثقافية والحضارية؛ إذ يعكس مشروع المسيري بوجه عامّ، مَعالِم الخطاب الإسلامي الجديد؛ الخطاب الذي لا يرى أيّ مبرّرللأخذ بالحداثة الغربية أو رفضها، بل ينطلق من قاعدة إسلامية متطوّرة في رؤيتها للحداثة الغربية، ثمّ ينفتح عليها و يُمارس عمليّة النقد ويتفاعل معها .وهذا ما يسمّى بالانفتاح النقديّ التفاعليّ .من هنا جاءت قناعة المسيري بأهمّية التفاعل الحضاري والانفتاح على الآخر، شرط عدم الإخلال بخصوصيّتنا الحضارية والمعرفية(٥١) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه اجمعين

وبعد: فمن خلال عرضنا وتحليلنا لموضوع الحداثة عند عبد الوهاب المسيري الذي سعى الى فتح افاق جديدة في اوضاع العالم العربي الاسلامي. وذلك من خلال رؤيته النقدية الابداعية توصلنا الى النتائج الاتية :

١. ان اهتمام المفكر المصري عبد الوهاب المسيري بموضوع الحداثة الغربية والانتقادات الهامة التي وجهها اليها يعد من المشاريع المهمة في الثقافة العربية الاسلامية, اذ كشف عن مدى يقظته وشعوره بخطورة وتأزم الوضع الحضاري التي تعيشه الامة العربية .
٢. فالحداثة في رأي عبد الوهاب المسيري تكمن في التجديد والتغيير حيث يرفض التبعية للآخرين وتقليدهم إما من جانب القول أو الفعل، وعليه فالحداثة جوهرها الإبداع والابتكار الذاتي، وفضلا عن ذلك يؤكد عبد الوهاب المسيري على أنه لا يتعين علينا رفض الحداثة، وإنما

يجب علينا أن نعيد النظر في هذا المفهوم حيث سعى جاهدا لبيان مناقضات حداثة الغرب، فالحداثة في منظوره مالت عن المقاصد والغايات التي كانت تسعى إلى تحقيقها .

٣. إذن الحل يكمن في نظر عبد الوهاب المسيري في هدم واقع الحداثة الغربية التي تسببت في فراغ أخلاقي رهيب والمطالبة بروح الحداثة لبناء حداثة إسلامية أخلاقية بديلة لحداثة الغير. وفي الأخير يمكن القول أن عبد الوهاب المسيري مفكر مجدد، وجهته التميز والإبداع جلجل صوته في محاضراته وأعماله لرفض التبعية والتقليد والحث على الاجتهاد للالتحاق بالركب الحضاري وتمكين الأمة الإسلامية من كيفية التفاعل مع أفكار الغير وقلب وجهة نظر الإنسان العربي الذي كان يعيش بجسده بين ديار المسلمين بينما روحه وعقله في ديار الغربيين، وذلك من خلال الكشف عن مفاسد وآفات الحداثة الغربية .

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. ابن منظور, جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم , ٢٠٠٥, لسان العرب,ط١,بيروت, دار الكتب العلمية
٢. اركون, محمد,٢٠٠٤ ,قضايا في نقد العقل الديني,ط٣, بيروت , دار الطليعة
٣. افاية, محمد نور الدين, ١٩٩٨, الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس,ط٢ ,لبنان, افريقيا الشرق
٤. بارت,رولان,١٩٩٣, درس السيميولوجيا,ط٣, المغرب, دار توبقال للنشر
٥. برادة, محمد, ١٩٨٤, اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة, العدد٣, القاهرة, الهيئة العامة المصرية للكتاب
٦. بوسقطة, السعيد, ومزدو, احسن, ٢٠٠٥,حركة مجلة شعر واشكالية المشروع الحداثي, الجزائر, منشورات مخبر الادب العام والمقارن
٧. التريكي, فتحي , و التريكي ,رشيدة, ١٩٩٢, فلسفة الحداثة ,بيروت, مركز الانماء القومي
٨. تورين, ألان, ١٩٩٧, نقد الحداثة, مصر, المجلس الأعلى للثقافة
٩. ثابت, علي, وعوفي, مصطفى, ٢٠١٨, نظام الاسرة بين تراحمية الإسلام وتفكيكية الحداثة , العدد٢٨, جامعة الاغواط, الجزائر, مجلة العلوم الإسلامية
١٠. الجابري, محمد عابد, ٢٠٠١, التراث والحداثة , دراسات ومناقشات, بيروت, مركز دراسة الوحدة العربية
١١. الجيلاني, مفتاح, ١٤٢٧هـ , الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقران الكريم, ط١, سوريا, دار النهضة
١٢. حرب, علي,١٩٩٨, الماهية والعلاقة, ط١, بيروت, المركز الثقافي العربي
١٣. حمر العين, خيرة,١٩٩٦,جدل الحداثة في نقد الشعر العربي, ط١, منشورات اتحاد كتاب العرب
١٤. الزنيدي, عبد الرحمن بن زيد, ١٤١٢هـ ,مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الاسلام , ط١, مكتبة المؤيد
١٥. سبيلا, محمد,٢٠٠٧, الحداثة وما بعد الحداثة ,ط٢, المغرب, دار توبقال للنشر
١٦. السقار, منقذ محمود,٢٠١١, تنزيه القران الكريم من دعاوى المبطلين, الرياض, مركز تكوين
١٧. شحرور, محمد, ٢٠٠٨,الكتاب والقران, قراءة معاصرة
١٨. شحيد, جمال, وقصاب, وليد, ٢٠٠٥, خطاب الحداثة في الادب الأصول والمرجعية , ط١ , سوريا ,دار الفكر
١٩. الصوارني, غازي, ٢٠١٥, نشأة لحداثة وتطورها التاريخي, ورقة مقدمة الى الندوة الفكرية التي أقامها مركز حيدر عبد الشافي للثقافة والتنمية, فلسطين
٢٠. عبد السلام, بوزبرة, وعبد الرحمن, طه, ٢٠١١, نقد الحداثة ,ط١, بيروت, جداول للنشر والتوزيع
٢١. كارتر, ديفيد, ٢٠١٠ ,النظرية الأدبية,ط١, سوريا, دار التكوين
٢٢. مرزاق, عبد القادر محمد, ٢٠٠٨ ,مشروع ادونيس الفكري والابداعي رؤية معرفية ,ط١,فرجينيا, الولايات المتحدة الامريكية, المعهد العالمي للفكر الإسلامي
٢٣. المسيري, عبد الوهاب, ٢٠٠٠, رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر, ط١, القاهرة, الهيئة العامة لقصور الثقافة
٢٤. المسيري, عبد الوهاب, ٢٠٠٦,دراسات معرفية في الحداثة الغربية, ط١ , مصر, مكتبة الشروق الدولية
٢٥. المسيري, عبد الوهاب, ٢٠٠٩, العلمانية والحداثة والعولمة,ط٤ , دار الفكر

٢٦. المسيري, عبد الوهاب, و التريكي, فتحي, ٢٠٠٣,الحداثة وما بعد الحداثة, ط١, دمشق, دار الفكر
٢٧. النحوي, عدنان علي رضا,١٦٦٢, تقويم نظرية الحداثة, بلاط, الرياض, دار النحوي للنشر والتوزيع
٢٨. النحوي, عدنان علي, ١٤١٠ ه, الحداثة من منظور ايماني, ط٣, دار النحوي
٢٩. نصار, حسين محمد, واخرون,٢٠١٠, الموسوعة العربية الميسرة, لبنان, المكتبة العصرية
٣٠. هدارة, محمد مصطفى,١٤١٠ ه, هل انفض سامرها, مجلة الحرس الوطني
٣١. اليعقوبي,محمود,١٩٩٨ ,معجم الفلسفة,ط٢ , بيروت, الميزان للنشر والتوزيع

هوامش البحث

---

[١] ابن منظور، 2005 ، ص852

[٢] ابن منظور، 2005 ، ص852

[٣] اليعقوبي، 1998 . ، ص٣٣

[٤] برادة,١٩٨٤,ص١٢

[٥] بوسقطة و مزدور، ٢٠٠٥، ص13

[٦] بارت, ١٩٩٣, ص٤٤

[٧] مرزاق، 2008 ، ص. 92

[٨] أفاية، ، 1998 ، ص108

[٩] هدارة,١٤١٠هـ , ص٢٦

[١٠] النحوي, ١٤١٠هـ ,ص١٣

[١١] النحوي, ١٦٦٢, ص٣٥

[١٢] كارتر, ٢٠١٠,ص١٣٠.١٣١

[١٣] الرويلي والبازعي,٢٠١٠,ص١٤٢

[١٤] حمر العين ,١٩٩٦,ص١٧٦

[١٥] الصوراني,٢٠١٥,ص١٣٠

[١٦] افاية,١٦٦١,ص١٠٦

[١٧] شحيد وقصاب, ٢٠٠٥,ص١٢

[١٨] الزنيدي,١٤١٢هـ ,ص١١٢

[١٩] نصار, واخرون, ٢٠١٠ , ص٤٣٠

[٢٠] الزنيدي, ١٤٢١هـ ,ص٢٠

[٢١] الزنيدي, ١٤٢١هـ ,ص١١٩. ١٢١

[٢٢] الزنيدي, ١٤٢١هـ ,ص٣١٥.

[٢٣] تورين,١٩٩٧, ص٣٠

[٢٤] التريكي, ١٩٩٢,ص٦٩

[٢٥] سبيلا, ٢٠٠٧, ص١٧

[٢٦] حرب,١٩٩٨,ص٢١٤

[٢٧] عبد السلام , وعبد الرحمن,٢٠١١ ,ص٥٠

[٢٨] عبد الوهاب المسيري: ولد المفكر عبد الوهاب المسيري في ٨ اكتوبر ١٩٣٨ في دمنهور . اكمل دراسته الابتدائية والثانوية في دمنهور , في عام ١٩٥٥ التحق بقسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب جامعة الإسكندرية, حصل على شهادة الماجستير عام ١٩٦٤ من جامعة

كولومبيا في نيويورك , ثم حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٩من جامعة رتجرز في مدينة نيو برونزويك في ولاية نيوجرسي , له الكثير من المؤلفات منها: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية, ورحلتي الفكرية, والفلسفة المادية وتفكيك الانسان, والانسان والحضارة, توفي المسيري في ٢ يوليو ٢٠٠٨, المسيري , ٢٠٠٠,ص٩

[٢٩] المسيري, ٢٠٠٩ ,ص١٦٩

[٣٠] المسيري والتريكي, ٢٠٠٣,ص١٦

[٣١] الجابري, ٢٠٠١, ص١٦

[٣٢] اركون, ٢٠٠٤, ص٢١٢

[٣٣] اركون, ٢٠٠٤ ,ص٢١٣

[٣٤] المسيري, ٢٠٠٩ ,ص٧٥

[٣٥] السقار , ٢٠١١,ص٤٢

[٣٦] شحرور ,٢٠٠٨,ص٥٥٣

[٣٧] سورة النساء, الآية ٥٩

[٣٨] سورة ال عمران, الآية ٣١

[٣٩] سورة النجم, الاية٣

[٤٠] الجيلاني, ١٤٢٧هـ ,ص٨٥

[٤١] ثابت وعوفي ,٢٠١٨,ص١٣٤

[٤٢] المسيري,٢٠٠٩,ص٢٠٥

[٤٣] الطاهر , ٢٠٢٢,ص٢١١

[٤٤] المرجع السابق,ص٢١١

[٤٥] المسيري, ٢٠١٨,ص٩٨. ٩٩

[٤٦] المسيري, ٢٠٠١,ص٢٠٠

[٤٧] المسيري, ٢٠٠٦ ,ص٩٤

[٤٨] المسيري, ٢٠٠٩,ص٢٦. ٢٧

[٤٩] المسيري, ٢٠٠٦,ص٤٥

[٥٠] المسيري, ٢٠٠٩,ص٢٦. ٢٧

[٥١] المسيري, ٢٠٠٦,ص٢٧